

المحتويات

ب	الاهداء
ج	شكر وامتنان
6-1	المقدمة
الفصل الأول: النفوذ الأيوبي في بلاد اليمن 569-627هـ/1174-1230م	
21-8	أولاً: للحكم الأيوبي في بلاد اليمن 569-627هـ/1174-1230م
30-22	ثانياً: النشاطات الاقتصادية في اليمن إبان العهد الأيوبي .
35-31	ثالثاً: الحياة الاجتماعية والفكرية والثقافية في اليمن خلال العهد الأيوبي .
47-36	هوامش الفصل الأول ومصادره
الفصل الثاني: الدولة الرسولية في اليمن 626-858هـ / 1228-1458م	
54-50	أولاً: الدولة الرسولية وظروف وصولها إلى حكم اليمن
76-55	ثانياً: سلاطين بني رسول وقيام حكمهم في اليمن 625-803هـ/ 1228-1400م
81-77	ثالثاً: سلاطين دولة بني رسول إبان مرحلة الضعف والانهار 803-856هـ / 1400-1458م
89-82	رابعاً: واجهات النشاط الاقتصادي والاجتماعي في اليمن خلال عهد الدولة الرسولية
104-90	هوامش الفصل الثاني ومصادره
الفصل الثالث: الدولة الطاهرية في بلاد اليمن	
113-106	أولاً: الدولة الطاهرية - مرحلة النشوء وتطور بناء الدولة 856-894هـ/1454-1489م
117-114	ثانياً: الدولة الطاهرية مرحلة النهوض والارتقاء 894-911هـ/ 1489-1505م
128-118	ثالثاً: مرحلة تدهور الدولة الطاهرية وانحطاطها 911-945هـ / 1505-1538م
124-118	- الطاهريون في مواجهة المماليك الشراكسة
128-125	- نهاية الدولة الطاهرية وسقوطها
131-129	رابعاً: النشاط الاقتصادي والتراث الحضاري للدولة الطاهرية في اليمن .
140-132	هوامش الفصل الثالث ومصادره

الفصل الرابع: الحياة السياسية في الحجاز- مكة- المدينة

174-142	أولاً: الحجاز التسمية والمقومات الجغرافية.
141-145	ثانياً: الأحوال السياسية في مكة من القرن السابع حتى العاشر الهجري الثالث عشر- السادس عشر الميلادي.
156-145	- مكة نهايات العصر الفاطمي والعهد الأيوبي.
159-157	- مكة في خضم الصراع الأيوبي الرسولي.
163-160	- عودة الأشراف الحسنيين الى مكة وإثارة النزاع الداخلي.
169-164	- تدهور حكم الأشراف في مكة وتداعيات نظام الشراكة حتى مجيء العثمانيين 923-701 هـ / 1517-1301 م.
174-170	- مكة خلال حكم الأمير حسن بن عجلان 829-798 هـ / 1426-1395 م وما بعده حتى سقوط الدولة المملوكية 923 هـ / 1517 م.
182-175	ثالثاً: الأحوال السياسية في المدينة المنورة من القرن السابع حتى العاشر الهجري/ الثالث عشر حتى السادس عشر الميلادي.
177-175	- إمارة بني مهنا في المدينة وموقف الحكم الأيوبي منها.
182-178	- أمراء المدينة في ظل حكم الدولة المملوكية حتى قيام السيطرة العثمانية 648- 923 هـ / 1517-1250 م.
196-183	هوامش الفصل الرابع ومصادره
الفصل الخامس: أوضاع نجد في العصر الوسيط وشرق الجزيرة العربية وقيام الدويلات العصفورية والجبرية ومملكة هرمز	
200-198	أولاً: نجد وشرق الجزيرة العربية وظروف عدم الاستقرار السياسي في العصر الوسيط.
211-201	ثانياً: الدولة العصفورية.
221-212	ثالثاً: الدولة الجبرية.
231-222	رابعاً: مملكة هرمز.
247-232	هوامش الفصل الخامس ومصادره
263-249	الملاحق
279-265	المصادر والمراجع

المقدمة

يُعد تاريخ الجزيرة العربية إبان حقبة العصور الوسطى الإسلامية والمرحلة الانتقالية المؤدية إلى عتبة التاريخ الحديث، حلقة هامة من حلقات التاريخ التي تستلزم اجراء المزيد من الدراسات والأبحاث التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، لكونها حقبة اكتنفها الغموض ولم تستهو الباحثين في الخوض في غمار أحداثها ووقائعها، لندرة المصادر والمخطوطات ذات الصلة بالأحداث من جهة وتداخلها واختلاف مسبباتها من حيث تحديد جهة مرجعياتها على وجه الدقة من جهة ثانية، وهذا الأمر لا شك يتطلب من الباحث جهداً مضمياً في الوصول إلى الرواية الأكثر قبولا وموضوعية، على الرغم من إن هذه الخاصية ملزمة لكل مؤرخ ويمكن أن تكون حاضرة في أية حقبة تاريخية معنية بالدراسة، إلا أنها تظهر بصورة جلية خلال المدة المحددة لموضوع هذا الكتاب.

اتسمت مدة الاطار الزمني لموضوع الدراسة الحالية ما بين (الجزيرة العربية من القرن الثالث عشر حتى الفتح العثماني / السادس عشر، بكثرة الاضطرابات السياسية، وتبوع الصراعات الداخلية والأسرية، وانتشار الفوضى وفقدان الأمن والاستقرار، وتفقت الوحدة السياسية لبعض الكيانات الأسرية المحلية.

هذه الأوضاع التي شهدتها الجزيرة العربية (القرن السابع - العاشر الهجري / الثالث عشر - السادس عشر الميلادي) أتاحت الفرصة لتدخل بعض القوى الاقليمية والدولية التي استهدفت المنطقة وخلّفت ثغرات عديدة كي تنفذ منها، وقد نجحت في ذلك المسعى، وعند ذلك تفاقمت حالة الفوضى والارتباك التي تمت الاشارة إليها.

على الرغم من ذلك شهدت منطقة الجزيرة العربية في بعض حقبتها حالات من الهدوء والاستقرار النسبي المرتبط بقدرة الحاكم وخبرته الإدارية وكيفية تعامله مع مسار الأحداث واستيعاب المتغيرات التي تواجهه سواء كان ذلك على مستوى الصراع الأسري أو التحديات الداخلية المحلية والإقليمية والخارجية، وقد أشار الكتاب إلى شواهد عديدة لنماذج من هذا النوع من الحكام على مدى ثلاثة قرون من الزمن.

لا شك إن دراسة حقبة تاريخية تزيد على ثلاثة قرون هو أمر في غاية الصعوبة في ميدان البحث التاريخي، لذا تطلب من المؤلف جهداً وصبراً كبيرين في متابعة الأحداث والمحافظة على تسلسلها الزمني المنطقي، لا سيما أن هناك متغيرات عديدة حصلت على المسار السياسي لنظام الحكم، واختلاف المؤرخين والرواة وتباين وجهات نظرهم في عرض الأحداث ومتابعتها، ولكن مع ذلك تم تجاوز تلك الاشكالات وقدم الكتاب عرضاً يأمل مؤلفه مخلصاً أن ينال رضا القارئ الكريم وقبوله.

أولاً: مضمون الكتاب

كرّس الفصل الأول لمتابعة النفوذ الأيوبي في بلاد اليمن، الذي يعد حلقة مهمة من حلقات تاريخ اليمن الإسلامي في العصر الوسيط، الذي كشف جوانب عديدة من واجهات سياسية الدولة الأيوبية في اليمن بعد الفتح الأيوبي، إذ عمل صلاح الدين الأيوبي على توحيد تلك البلاد داخليا ومحاولته تخليص اليمنيين من الانقسامات الداخلية والحروب الأهلية التي سادت بلادهم في أحيان كثيرة، وظلت تلك البلاد تابعة لهم حتى استقل نوابهم بنو الرسول بحكمها، وزعت مادة الفصل الأول على ثلاثة مباحث تناول الأول التطور السياسي للحكم الأيوبي في بلاد اليمن 569-627هـ / 1174-1230م، حيث تم التعريف بالظروف السياسية التي ساعدت سلاطين دولة بني الأيوب من الوصول إلى الحكم بدءاً من توران شاه حتى وفاة الملك المسعود، والمبحث الثاني تابع النشاطات الاقتصادية في اليمن خلال العهد الأيوبي ممثلة بالنشاط الزراعي والصناعي والحرفي والنشاط التجاري، وجاء المبحث الثالث ليستعرض الحياة الاجتماعية والفكرية بما فيها التوزيع السكاني ونشاط المرأة، والأزياء والملابس والنشاط التعليمي والثقافي.

وتناول الفصل الثاني تاريخ الدولة الرسولية في اليمن 626-858هـ / 1228-1458م، حيث ورد وباتفاق معظم المؤرخين على أن عصر حكم الدولة الرسولية يعد من ازهى عصور اليمن خلال حقبة العصور الإسلامية الوسطى، استطاعت هذه الدولة بسط نفوذها على بلاد اليمن، لذا تمتعت البلاد بنوع من الاستقرار السياسي والأمني، وبذلك نالت احترام القوى وتقديرها سواء داخل الجزيرة العربية أو خارجها، سلط المبحث الأول من هذا الفصل على عرض الظروف السياسية التي أوصلت سلاطين الدولة الرسولية إلى الحكم، وتابع المبحث الثاني سيرة حكم سلاطين الدولة الرسولية في مرحلة القوة والسيادة والنفوذ خلال المدة 625-803هـ / 1228-1400م، وعرف المبحث الثالث بأدوار سلاطين الدولة الرسولية خلال مرحلة الضعف والانحيار 803-856هـ / 1400-1458م، مبيناً أسباب الضعف والتراجع الذي شهدته الدولة، واستعرض المبحث الرابع النشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والحضاري للدولة الرسولية.

خصّص الفصل الثالث لمتابعة نشاط الدولة الطاهرية في اليمن التي ورثت الدولة الرسولية في معظم مناطق اليمن، باستثناء مناطق الجبال الشمالية التي تنافس عليها الأئمة الزيديون، لقد ثبت الطاهريون حكمهم في تعز وعدن وجهات تهامة، كما مدوا نفوذهم إلى الشحر وحضرموت، استمر حكم هذه الدولة قرابة ثمان وسبعين عاماً 858-945هـ / 1454-1538م ثم آلت إلى السقوط، تضمن الفصل أربعة مباحث، حدّد الأول مرحلة النشوء والتطور الذي شهدته الدولة وحددت ما بين عام

856-894هـ / 1454-1489م، وتابع المبحث الثاني مرحلة النهوض والارتقاء 894-911هـ / 1489-1505م، وشخص المبحث الثالث عوامل تدهور الدولة الطاهرية وانحطاطها 911-945هـ / 1505-1538م، بعد أن دخلت في مواجهات مباشرة مع دولة المماليك الشراكسة، وتابع المبحث الرابع النشاط الاقتصادي والتراث الحضاري، الذي ظلت بعض معالمه قائمة في عدد من المدن اليمينية التي كانت مركزاً لنشاطاتهم المختلفة.

استعرض الفصل الرابع أوضاع الحجاز السياسية بما فيها مكة والمدينة خلال الحقبة من القرن السابع حتى العاشر الهجري/ الثالث عشر إلى السادس عشر الميلادي، وزعت مادة الفصل على ثلاثة مباحث، الأول عرّف بتسمية الحجاز وبيان مقومات الخصائص الطبيعية والجغرافية، وتناول الثاني الأحوال السياسية في مكة ما بين القرن السابع - إلى العاشر الهجري، وركز على أوضاعها العامة في نهايات العصر الفاطمي والأيوبي، ومن ثم بيان موقف مكة من الصراع الأيوبي الرسولي مع الإشارة إلى عودة الأشراف الحسينيين إلى مكة وإثارة النزاع الداخلي، فضلاً عن بيان أسباب تدهور نظام حكم الشرافة وتداعيات نظام الشراكة حتى مجيء قوة العثمانيين 701-923هـ / 1301-1517م، وتضمن أيضاً التعريف بالظروف السياسية التي شهدتها مكة خلال حكم الأمير حسن بن عجلان 798-829هـ / 1395-1426م وما بعده حتى سقوط الدولة المملوكية، وخصّص المبحث الثالث لاستعراض الأحوال السياسية في المدينة المنورة خلال المدة من القرن السابع إلى العاشر الهجري وتابع في ثنائه إمارة بني مهنا وموقف الحكم الأيوبي منها، فضلاً عن ذلك متابعة نشاط أمراء المدينة في ظل حكم الدولة المملوكية حتى السيطرة العثمانية 648-923هـ / 1250-1517م.

تابع الفصل الخامس الأوضاع السياسية في نجد وشرق الجزيرة العربية خلال العصر الوسيط، إذ شهدت المنطقة سلسلة من الصراعات والنزاعات القبلية، لذلك حصلت العديد من التحالفات بين زعماء القبائل ولعل أفضل وصف قدّمه المؤرخ ابن بشر على تلك المدة بقوله ((إنها كقطع الليل المظلم وقتال بين أهل كل بلد، عدوان وحمية وجاهلية وتحالف وتنازع وعصبية)) وزعت مادة الفصل على أربعة مباحث، عرض الأول أوضاع نجد وشرق الجزيرة العربية التي نوهنا عنها سابقاً، وخصّص المبحث الثاني للدولة العصفورية، التي امتدت حدودها من سواحل عمان جنوباً حتى الكويت شمالاً وضمت جزر البحرين، كما امتد نفوذها كذلك إلى شرق نجد، وأشار المبحث الثالث إلى الدور الذي قامت به الدولة الجبرية في تاريخ البحرين والقطيف والمناطق المجاورة لها، استمرت في نفوذها من أواسط القرن الخامس عشر الميلادي حتى أواسط القرن السادس عشر، كما تابع هذا المبحث نشاط أمراء هذه الأسرة وجهودهم في مواجهة البرتغاليين، واستعرض الأسباب التي أدت إلى تدهور حكم

الأسرة الجبرية ومن ثم اضمحلال دورها السياسي في المنطقة، أما المبحث الرابع من هذا الفصل فتابع التطورات السياسية التي شهدتها مملكة هرمز التي تمتلك مقومات الموقع الاستراتيجي البالغ الأهمية ونشاطها التجاري الكبير، لذا واجهت سلسلة من التحديات مع قوى مختلفة في مقدمتها الإطماع البرتغالية وعندئذ سجّلت مواقف تاريخية مشهودة لها في تلك المواجهات.

ثانياً: تحليل مصادر الكتاب

تنوعت مصادر الكتاب ومراجعته وتعددت بسبب تنوع المادة التاريخية وتشعبها في مفاصل مختلفة طوال ثلاثة قرون، إذ كان لكل فصل مصادره ومراجعته ذات الصلة المباشرة بمادته التاريخية، وعلى هذا النحو سيتم تقديم عرض تحليلي موجز لجريدة المصادر والمراجع للكتاب وعلى النحو الآتي:

1- المصادر المطبوعة:

يعد كتاب (المقدسي)، الروضتين في أخبار الدولتين، من المصادر المهمة التي تابعت نشاط الأيوبيين في اليمن، ومن ثم كتاب يحيى ابن الحسين، أنباء الزمن في أخبار اليمن الذي تابع تطورات الأحداث السياسية خلال مدة حكم الدولة الأيوبية، فضلاً عن المصادر الأخرى، أبو مخرمه، تاريخ ثغر عدن، ج²، الذي عززت معلوماته مادة الفصل الأول، وشكّل كتاب الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج¹، ج²، مصدرًا لا يمكن إغفاله عند دراسة تاريخ الدولة الرسولية، وقدم ابن التفرجي بردي في كتابه ((النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)) معلومات قيمة عن نشاط المماليك في اليمن، فضلاً عن كتاب المؤرخ اليمني ابن الديبع ((الفضل المزيدي على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، الذي كرّس لتوظيف معلوماته في الفصل الثالث عن الدولة الطاهرية، كما عزّزت مؤلفات ابن عنّبه، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، وأبو شامه في كتابيه، الروضتين، وذيل الروضتين، والقلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب بأجزائه الأربعة الأولى، والمقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج¹، وابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج⁵، عزّزت مادتي الفصلين الرابع والخامس، وساهمت في تقديم التحليلات التاريخية المناسبة.

2- المراجع الحديثة:

عزّزت المراجع الحديثة مادة الكتاب بمعلومات تاريخية دقيقة، لا سيما أن البعض منها كان في أصلها اطاريح دكتوراه أو رسائل ماجستير حصل مؤلفوها على درجات علمية، تأتي في مقدمتها مؤلفات محمد عبد العال أحمد، الأيوبيون في اليمن، وبنورسول وبنوطاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما 628-923هـ / 1231-1517م وقد وُظفت في الفصل الأول والثاني وكتاب جميل حرب محمود، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، وقدّم كتاب محمد بن يحيى الفيضي الدولة الرسولية مادة تاريخية مهمة للفصل الثاني من الكتاب على الرغم من أنه كرّس لمعالجة المدة الزمنية للسلطان الناصر 803-827هـ / 1400-1424م، وكتاب المخطوط العربي المرقم (4609) المحفوظ في المكتبة الوطنية في باريس، الذي قدّم متابعة لنشاطات سلاطين الدولة الرسولية وهو أشبه باليوميات، فضلاً عن كتاب زبارة أئمة اليمن، ج1، الذي تابع نشاط الأئمة في اليمن، وقد وُظفت مادته في الفصل الثاني.

وقدّم كتاب المؤلف (تاريخ جنوب الجزيرة العربية الحديث) معلومات ومتابعة لنشاط سلاطين الدولة الطاهرية في عدن وجنوب الجزيرة العربية، فضلاً عن كتاب حمزة علي إبراهيم لقمان، تاريخ عدن، وكتاب أحمد فضل العبدلي، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن.

وعدّ كتاب ريتشارد مرورتيل الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي مرجعاً في غاية الأهمية، وهو بالأصل أطروحة دكتوراه وُظفت معلوماته في الفصل الرابع، فضلاً عن ذلك كتابي عارف عبد الغني، أمراء مكة والمدينة الذين قدّم فيهما معلومات تعريفية عن أدوار الأمراء ومسار سيرتهم في الإدارة والتعامل مع الوقائع والأحداث، كما عزّزت موسوعة زامبارو معجم الأنساب والاسرات الحاكمة التسلسل الزمني لأدوار هؤلاء الحكام وتتابعهم.

وقدّم كتاب عبد الرحمن المديرس، المدينة المنورة في العصر المملوكي 648-923هـ / 1250-1517م، معلومات قيمة عن تاريخ المدينة المنورة، أما كتاب محمد محمود خليل، تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمى إقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية، فمادته غزيرة غطت مفاصل ومحطات هامة في تاريخ الأسر الحاكمة في المنطقة، منها الأسرة العصفورية وإمارة الجبور ومملكة هرمز في الفصل الخامس، فضلاً عن كتاب بدر الدين عباس الخصوصي، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج1، الذي افاد في تقديم بعض التحليلات التاريخية المناسبة لأوضاع البرتغاليين في السيطرة على مملكة هرمز والقطيف والبحرين. وقدمت بعض المراجع باللغة الإنجليزية مادة تاريخية قيمة وُظفت في فصول الكتاب لا سيما الفصل الخامس، تفاصيلها في قائمة المصادر والمراجع.

3- الأبحاث والدراسات:

ساهمت الأبحاث والدراسات التي نشرها عدد من الأساتذة المتخصصين في تعزيز مادة الكتاب وأرشدت المؤلف إلى مواطن المصادر والمعلومات، وأذكر منها بحث الدكتور محمود ياسين التكريتي، الأيوبيون في اليمن تاريخهم السياسي 1174-1226م، وبحثي الدكتور عبد اللطيف ناصر الحميدان، إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية، وبحثه الآخر، التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية، فضلا عن دراسات أخرى تفاصيلها في قائمة المصادر والمراجع.

4- المراجع الحديثة المتفرقة:

اعتمد الكتاب على مصادر أخرى متفرقة منها رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه، وكتب الموسوعات، فضلا عن المقالات والدراسات المتاحة على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، وقد تعامل معها المؤلف بموضوعية ومنهجية تاريخية قائمة على التدقيق والمقارنة بهدف الوصول إلى الحقائق التاريخية المرجوة قدر المستطاع.

والله المستعان على كل شيء، وفوق كل ذي علم عليم

المؤلف

أ.د. صباح مهدي رميض

بغداد 26 ذو الحجة 1433هـ / 11 تشرين الثاني 2012

الفصل الأول

النفوذ الأيوبي في بلاد اليمن

569-627هـ/1174-1230م

أولا : التطور السياسي للحكم الأيوبي في بلاد اليمن 569-627هـ/1174-1230م
ثانيا: النشاطات الاقتصادية في اليمن إبان العهد الأيوبي .
ثالثا : الحياة الاجتماعية والفكرية والثقافية في اليمن خلال العهد الأيوبي .

أولاً: التطور السياسي للحكم الأيوبي في اليمن 1174 - 1230 م

استغل صلاح الدين الأيوبي⁽¹⁾ موقعه وزيراً للخليفة الفاطمي ونائباً عن السلطان نور الدين محمود من جهة وبفضل حنكته العسكرية والسياسية من جهة أخرى أن يؤسس كيان الدولة الأيوبية (567-647هـ/1172-1250) على خلفية انهيار الدولة الفاطمية⁽²⁾، إذ وسَّع نفوذ دولته إلى مناطق عديدة ومنها اليمن⁽³⁾، وفي الوقت ذاته قاد حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين لاستعادة الأماكن المقدسة وحماية حدود دولته الخارجية⁽⁴⁾.

اختلف المؤرخون وتعددت رواياتهم بشأن الحملة العسكرية التي أرسلها صلاح الدين الأيوبي إلى بلاد اليمن عام 569هـ/1174م، فمنهم من ذكر بأن صلاح الدين الأيوبي كان يخشى من طرد السلطان نور الدين له من مصر في حالة وقوع حرب معه، لذا يمكن أن يتخذ من اليمن ملجأً له ولأسرته فيما بعد⁽⁵⁾، وهناك من يرجع السبب إلى طبيعة ما تمتلكه اليمن من خيرات وموارد وثروات طبيعية هائلة فضلاً عن ضعف حكامها وعدم قدرتهم في الدفاع عنها الأمر الذي سهَّل عملية الفتح، وقد يكون هذا الأمر هو الذي سوَّغ لحملة توران شاه⁽⁶⁾ أخ صلاح الدين لا سيما أنه كان معروفًا ببذخه وإسرافه وكثره نفقاته ولم تكن إقطاعيات مصر كافية لسدها وتمويلها، لذا طلب الإذن من صلاح الدين بقيادة الحملة على اليمن⁽⁷⁾، ولكن بعض المؤرخين يرد على هذا الرأي بالقول إن صلاح الدين كان بإمكانه أن يخصص إقطاعيات إضافية لأخيه في مصر ولا حاجة إلى التدخل العسكري في اليمن، ولكن ما يبرر موقف توران شاه هو أنه كان الأخ الأكبر لصلاح الدين ويرى أنه هو أحق بالسلطة من أخيه وعندما لم يتحقق أمله بالسلطة في مصر سعى إلى تأسيس مملكة له في منطقة أخرى، ومما يدل على ذلك أنه بعد استيلائه على اليمن ذكر في الخطبة بعد الخليفة العباسي وتلقب بلقب الملك المعظم، وهذا السلوك لم يغضب صلاح الدين الأيوبي وتركه على حد وصفه بأنه يشبع أطماعه ورغباته الشخصية⁽⁸⁾، وهناك من يرى أن فتح اليمن يعود إلى تزايد قوة عسكر صلاح الدين وتعاضم نفوذ أخوته، لذلك أراد أن يبعدهم عن مركز السلطة خشية من تزايد حدة الصراع الأسري وتأثيره في استقرار الوضع السياسي للدولة، ولا شك أن طبيعة الوضع الداخلي في اليمن الذي كان مشحوناً بالنزاعات القبلية والأسرية وعدم قدرة حكام دولة بني المهدي⁽⁹⁾ من إيقاف تلك النزاعات والخلافات ومناصرتها لطرف على حساب طرف آخر قد فتح الأبواب على مصارعها للأيوبيين للتوسع في بلادهم، في الوقت الذي كان فيه عبد النبي مهدي الرعيني يشن الحملات على أعيان المخلاف السليماني ومنهم الشريف قاسم بن يحيى الذي استنجد بدوره بالخليفة العباسي الناصر لدين الله، فكتب الأخير إلى صلاح الدين الأيوبي وأمر بنصرته فبعث أخيه توران شاه بحملة عسكرية إلى اليمن⁽¹⁰⁾.

هياً صلاح الدين مقومات الحملة وإعداد الاستحضارات اللازمة لها من حيث العدة والعدد وبلغ قوامها ثلاثة آلاف مقاتل⁽¹¹⁾، ثم أخذ الإذن بتحركها من السلطان نور الدين محمود وكلف أخاه توران شاه لقيادتها، ثم تحركت الحملة من الديار المصرية 569هـ في شباط 1174م عن طريق نهر النيل ثم إلى منطقة قوص ومنها عن طريق البر إلى ميناء عينذاب على ساحل البحر الأحمر ثم عبر إلى جده ومنها براً إلى مكة حيث دخلها معتمراً ولم يبق فيها طويلاً إذ تركها وتوجه نحو اليمن عن طريق البر⁽¹²⁾.

نالت حملة توران شاه ترحيب أمراء المخلاف السليماني في مقدمتهم قاسم بن غانم⁽¹³⁾ الذي طالب بمساندتهم ضد سلطة الأمير عبد النبي بن المهدي، فلبى توران شاه الطلب، وكانت تلك بداية المهمة في حصول التعاون مع القوى الداخلية اليمنية التي يسرت عملية الفتح.

توجه الجيش الأيوبي باتجاه منطقة زبيد حيث تتركز قوات عبد النبي بن المهدي ولما رآه أهلها استخفوا بمن معه وقال لهم ابن المهدي: ((كأنكم بهؤلاء وقد صحى عليهم الحر فهلكوا وما هم إلا أكلة رأس))⁽¹⁴⁾.

استعد عبد النبي بن المهدي للقتال وخرج بقواته للقاء توران شاه خارج مدينة زبيد، ودارت رحى معركة بينهما، فانسحب ابن المهدي إلى داخل المدينة ليتحصن فيها بعد أن تفرقت قواته، في الوقت الذي استطاعت قوات توران شاه في اجتياز مانع الأسوار بنصب السلالم ثم فتح الأبواب، وبعد ذلك دخلت القوات الأيوبية إلى المدينة، ثم القي القبض⁽¹⁵⁾ على الأمير عبد النبي بن المهدي في شوال 569هـ عام 1174م⁽¹⁶⁾.

استبيحت المدينة واستولى توران شاه على خزينتها ومواردها كاملة، فضلا عن عبث جنوده بممتلكاتها، واستقر توران شاه في مدينة زبيد واتخذها عاصمة لملكه⁽¹⁷⁾، وبدأ بإعادة استقرارها وإعمارها، وبدأت تلقى الخطب باسم الخليفة المستضيء العباسي، وفي أعقاب ذلك توجه توران شاه إلى فتح المدن اليمنية الواحدة تلو الأخرى ومنها جند وتعز وعدن التي كانت تحت سلطة بني زريع⁽¹⁸⁾. التي قاوم أميرها ياسر بلال المحمدي القوات الأيوبية خارج أسوار المدينة وفشل في مهمته وتمكنت القوات الأيوبية من الدخول إلى المدينة وعندها أعلن توران شاه القول ((ما جئنا لنخرب البلاد وإنما جئنا لنملك البلاد ونعمرها ونتضع بدخلها))⁽¹⁹⁾.

حاول توران شاه جاهداً استكمال الفتوحات الأيوبية للمدن اليمنية متوجهاً شمالاً باتجاه مدينة صنعاء حيث دخل في معارك متتالية في مدينة ذمار، حاثاً جنوده على إدامة الزخم في مخاطبتهم بالقول: ((قاتلوا على أنفسكم وإلا قتلنكم العرب))⁽²⁰⁾.

دخلت قوات توران شاه مدينة صنعاء في عام 569هـ / آب 1174م، ولم تستطع قوات السلطان علي بن حاتم⁽²¹⁾ المواجهة وانسحبت إلى حصن برابش وبقيت القوات الأيوبية في المدينة ثمانية أيام ثم قرّر توران شاه العودة إلى تهامة⁽²²⁾، وقد أشارت بعض الروايات وهي متضاربة في ذكرها بأن القوات الأيوبية لم تدخل المدينة أصلاً، ويرى القسم الآخر أن محدودية بقاء القوات الأيوبية وسرعة عودتها بسبب قلة المؤن وشحتها، على أية حال انسحبت القوات الأيوبية وعادت إلى تهامة مما أتاح الفرصة المناسبة للسلطان علي بن حاتم من استعادة سيطرته على مدينة صنعاء⁽²³⁾.

نجح توران شاه في فتح العديد من القلاع والحصون، وبذلك يكون قد استولى على معظم البلاد اليمنية، ويذكر المؤرخ ابن شامه أن توران شاه قد فتح حضرموت كذلك⁽²⁴⁾. وأتاب عنه فيها رجلاً كردياً من أتباعه، وشهدت البلاد حالة من الأستقرار والهدوء النسبيين بعد توطدت سلطة توران شاه، باستثناء المناطق الجبلية في أقصى الشمال وشمال غرب اليمن الواقعة تحت سيطرة الأئمة الزيدية⁽²⁵⁾.

على أثر تلك الفتوحات والجهود التي بذلها توران شاه لقب بالملك المعظم وخطب لنفسه في البلاد التي فتحها بعد الخليفة المستضيء بأمر الله ووقع اختياره بعد ذلك على مدينة تعز لأن تكون عاصمة للدولة لما تتمتع به من مكان صحي وهواء طيب⁽²⁶⁾، واستمرت كذلك حتى في عهد حكم الدولة الرسولية فيما بعد⁽²⁷⁾.

نالت جهود توران شاه تقدير أخيه صلاح الدين الأيوبي الذي أخبر بدوره السلطان نور الدين محمود بالانجازات التي حقّقها في اليمن إذ أعاد الخطبة للخلفاء العباسيين وأمن مفتاح البحر الأحمر الجنوبي من محاولات سيطرة القوات المسيحية والصليبية، وبعد ذلك قرّر العودة إلى الشام⁽²⁸⁾.

وقبل أن يستقر رأيه بمغادرة اليمن، وبهدف استقرار الوضع الداخلي فيها أناب عنه فيها مجموعة من النواب، منهم أبا الميمون المبارك بن منقذ على مدينة زبيد وما جاورها من مناطق المخلاف السليماني، وجعل عثمان الزنجيلي في عدن وأعمالها في جنوب اليمن، وياقوت التعزي على مدينة تعز، فضلاً عن مظفر الدين قايماز في جبله، وهكذا في بقية المدن اليمنية الأخرى⁽²⁹⁾.

غادر توران شاه في عام 571هـ / كانون ثاني 1176م اليمن متوجّهاً إلى الشام عن طريق مكة، وشارك في موقعة الموصل⁽³⁰⁾ جنوب حلب، وبفضله تم تحقيق النصر وإلحاق الهزيمة بقوات السلطان سيف الدين الغازي صاحب الموصل، ثم تولى توران شاه في أثناء عودته إدارة دمشق ثم بعلبك ومن ثم الإسكندرية حتى وافته المنية في عام 575هـ / تموز عام 1180م⁽³¹⁾.

سيف الإسلام طغتكين وإعادة الاستقرار في اليمن

اضطربت الأوضاع الداخلية في اليمن على أثر مغادرة توران شاه، واستغل النواب الذين تركهم، ظروف الدولة الأيوبية وانشغالها بالحروب الصليبية، لذلك ضربوا السكة بأسمائهم وأعلنوا الخطب على المنابر لأنفسهم وامتنعوا عن إرسال الخراج السنوي إلى مصر وأصبح كل واحد منهم مستقلاً بولايته⁽³²⁾، بل الأكثر من هذا كان طموح كل واحد منهم الاستيلاء على ولاية الآخر، لذلك حصل نزاع كبير بين خطاب بن منقذ والي زبيد وعثمان الزنجيلي والي عدن⁽³³⁾.

وعلى أثر هذه الاضطرابات والفضوى التي شهدتها اليمن أرسل السلطان صلاح الدين الأيوبي أخاه سيف الإسلام طغتكين إلى اليمن 578هـ - 1182م، واستطاع الإطاحة بخطاب بن منقذ والي مدينة زبيد، وهدد عثمان الزنجيلي والي عدن الذي خشي من قوة طغتكين الذي ترك المدينة وغادرها إلى الشام، وعند ذلك أرسل طغتكين أحد قادته لإدارة مدينة عدن، وبذلك استقرت بلاد اليمن وأصبحت تحت نفوذه من زبيد حتى حضرموت⁽³⁴⁾.

لا شك أن الانتصارات التي حققها سيف الإسلام طغتكين باليمن على مدى خمس سنوات من حكمه فيها مكنته من إزالة الفتن وكبح طموح المستغلين على الحكم من أمرائه واتخذ حكمه بعداً سياسياً آخر شمل تحديد موقفه السياسي من بعض الأمراء المحليين من حكام اليمن ومنهم بني همدان (بنو حاتم) في صنعاء وما جاورها، لذلك ليس من السهل أن يدعن أولئك الحكام إلى الإدارة الجديدة، كما لا يمكن للحاكم الجديد أن يستمر ما لم يوفر الحماية الكافية له، لا سيما وأنه أنشأ دولته وسط أنظمة قبلية متطرفة وذات نزعات مختلفة⁽³⁵⁾.

استطاع طغتكين من توحيد بلاد اليمن تحت حكمه بعد أن قضى على نفوذ نواب أخيه توران شاه وتخلص من بقايا نفوذ بني زريع وذلك باستيلائه على حصن جنب والدملوه، ثم قضى على مقاومة قبائل جنب بالاستيلاء على منطقة ذمار وما جاورها كما أنهى أمر بني الصليحي وذلك باستيلائه على حصن قيضان ولفار الوادين، فضلاً عن تخلصه من نفوذ بني حاتم وذلك باستيلائه على حصون اشيح والفص والظفر وكوكبان ونده وذمرمر وغيرها وضم تبعيتهم وولاءهم له بتقريره منطقة جامكية لهم تعويضاً عن البلاد التي كانت تحت سيطرتهم وباستيلائه على حصن عزرات أخضع بني شهاب لسيطرته وكذلك أنهى طوح الأشراف من بني حمزة بالحصول على الإمامة بعد أن استولى على حصون مدن صعده وبلاد الجوف وشهارة⁽³⁶⁾.

عُرف عن طفتكين بأنه عسكري وإداري حازم بنى الحصون والثغور والمساجد والمعسكرات والحمامات وسنّ القوانين فضلاً عن كونه شاعراً وفقهياً واديباً، وهو أول من أرسل السفن الحربية الى شواطئ الهند لحراسة السفن التجارية (الشواتي)⁽³⁷⁾ وبذلك أمّن حركة التجارة من الموانئ اليمنية واليهما. توفّي طفتكين في منطقة المنصورة في عام 593هـ/أيلول عام 1197م بعد حكم دام أربعة عشر عاماً ويقال إنه مات مسموماً⁽³⁸⁾. وتولى الإدارة في اليمن من بعده ولده إسماعيل.

المعز إسماعيل بن طفتكين بن أيوب:

كان السلطان إسماعيل بن طفتكين بن أيوب هو أكبر إخوته سناً وأكثرهم قرباً إلى والده حيث اعتمده في كثير من أمور في إدارة الدولة إلا انه لم يستمر على ذلك النحو ودبّ الخلاف مع والده الذي طرده إلى الحجاز⁽³⁹⁾، ويرى بعض المؤرخين أن سبب ذلك الخلاف هو خروج المعز إسماعيل على مذهب أهل السنة وأصبح على مذهب الشيعة الإمامية⁽⁴⁰⁾، وعندما علم بوفاة والده عاد إلى مدينة زبيد عام 593هـ/1196م، وزار مدن تعز وحصل على ولائها وتأييدها لحكمه⁽⁴¹⁾.

سار بعد ذلك بقوة كبيرة إلى صنعاء عام 593هـ/1197م والتقى مع نائب والده وقتله وعهد إدارة المدينة إلى أحد أتباعه شهاب الجزري⁽⁴²⁾، بعد أن استتب الوضع الداخلي فيها وعاد ثانية إلى مدينة تعز مركز حكمه.

يبدو أن حالة الاستقرار النهائي لم تحصل في اليمن، وذلك بسبب حركات المعارضة المتزايدة لحكمه وهروب العديد من أتباعه إلى صفوف أعدائه وقد اتفقوا عليه وكان معظمهم قد لجؤوا إلى الإمام عبد الله بن حمزة أمير قبائل الحواتم من همدان، الذي رحب بهم ومنهم الأمير سيف الدين حكو الذي عينه الإمام قائداً لقواته، والأمير هشام الكردي وغيرهم⁽⁴³⁾، وعلى هذا الأساس بدأ نفوذ الإمام عبد الله بن حمزة يتصاعد ويقوى بسبب التفكك الذي ساد صفوف القوات الأيوبية، فضلاً عن طبيعة المعاملة السيئة التي انتهجها المعز وأخذ يدعو لنفسه بالإمامة⁽⁴⁴⁾ في صعدة عام 594هـ/1198م واخذ يعدّ العدة إلى مواجهة الإمام الذي حلت به الهزائم، إلا أن الذي حصل أن عدداً من قادة المعز تركوا قواتهم ملتحقين بقوات الإمام ومنهم الأمير ورد سار، والأمير سيف الدين سنقر الاتابك⁽⁴⁵⁾.

حاول المعز إسماعيل تجاوز هذه الإشكالات ومعالجة حالة الخرق في قواته بعد أن تراجع عدد من قادته عن تأييده، إلا أن تحرك القوى السياسية المتواجدة في المنطقة المحيطة بالأراضي التي يحكمها ضده بسبب نظرتها إلى بني أيوب بأنهم يمثلون القوة السياسية الغربية على بلادهم ويجب

مقاومتها وإزالتها، فضلاً عن انعدام التجانس المذهبي بينهم وبين بني أيوب، وكان هذا الأمر في غاية الأهمية بل هو الدافع الرئيس الذي كان يحرك أهالي اليمن باتجاه المعارضة السياسية والعسكرية لحكم بني أيوب لا سيما في مدة حكم المعز إسماعيل بن طغتكين⁽⁴⁶⁾، هذا فضلاً عن بعض السلبيات التي سجلت على سلوكه ومنهجه السياسي ومنها:

1- مغابرتة لمذهب أسرته عام 593هـ / 1196م الذي جاء بنتائج عكسية وعمل حالة الإنشقاق الداخلي بين الأهالي.

2- دعوته أنه أموي ورام الخلافة كما ادعى أنه قرشي النسب ولقب نفسه بأمير المؤمنين والهادي⁽⁴⁷⁾، ثم قطع خطبة العباسيين من منابر اليمن، فلما سمع عمه الملك العادل ذلك أنكروه وساءه فعله، وكتب إليه يلومه ونهاه عن ذلك ثم وبّخه، ولا شك أن تصرفاته تلك أسقطته في نظر ملوك بني أيوب في الشام ومصر والجزيرة العربية.

3- ادعاؤه بالنبوة وهذا السبب الرئيس في خروج جماعة من مماليك أبيه على طاعته وقتاله، وقد استمر حقدهم عليه لذا تحالفوا مع جماعة من الأكراد للتخطيط لقتله، وهذا ما حصل فعلاً فقتلوه في منطقة القوير من أعمال زبيد عام 599هـ / 1202م⁽⁴⁸⁾. وبذلك اجتمعت عوامل عدة منها سلوكيته السيئة مع الأهالي وعساكره كما تعكس لنا من الجانب الآخر التناقض الواضح في الولاء المزدوج للمبادئ والقيم التي وجد من أجلها الحكم الأيوبي في اليمن وهو وحدة الأمة عن طريق الحماية العسكرية لظهور المقاتلين العرب والمسلمين في الشام ومصر ضد الغزاة الصليبيين، ومع كل ذلك فقد وصفه بعض المؤرخين بأنه كان أي (المعز إسماعيل بن طغتكين) شجاعاً وشاعراً فصيحاً متأدباً⁽⁴⁹⁾.

عمت الفوضى في البلاد بعد مقتل المعز إسماعيل وقد استولى قتلته على مدينة زبيد ونهبوها، ثم نصبوا احد زعمائهم يدعى هندوه سلطاناً عليهم في مدينة زبيد، وفي تلك الظروف تم تنصيب الناصر أيوب بن طغتكين سلطاناً على اليمن خلفاً لأخيه المعز وهو لا يزال طفلاً في العاشرة من عمره⁽⁵⁰⁾.

وتابعت القوى الداخلية المعادية للأيوبيين والمتمثلة في الإمام الزيدي عبد الله بن حمزة وبني حاتم (همدان) استغلال حالة الاضطراب التي شاعت بعد وفاة المعز وتهيأت الظروف لكي يحقق الإمام فرصة الاستيلاء على صنعاء، وظهر واليها شهاب الجزري رغبته في الانضمام إلى قوة علم الدين وردسار التي أرسلها الإمام والدخول في طاعته، وطلب منه مخاطبة الإمام بذلك، فاستجاب الإمام على الفور، وغادر شهاب الجزري وقابل الإمام في 599هـ / تموز 1202م، واتفقا على التعاون،

ثم عاد الجزري إلى صنعاء، وأصبحت بعد ذلك الخطبة تعلن باسم الإمام بدلاً عن الخليفة العباسي، وأدخلت في الآذان عبارة ((حي على خير العمل)) وهو شعار الشيعة على كره الكثير من الأيوبيين، وبعد دخول صنعاء تحت سيطرة الإمام بدأ بالتطلع في السيطرة على كل مناطق اليمن الأخرى⁽⁵¹⁾.

لما كان الملك الناصر سيف الدين صغير السن، عين الأمير سيف الدين سنقر اتابكاً له وهو من مملوكي والده⁽⁵²⁾، لتدبير شؤون الحكم، لذلك دخل في حروب وصراعات عديدة مع قبائل التهائم والأكراد في مدينة زبيد ومنطقة التهائم وأصبح الحكم الأيوبي للاتابك⁽⁵³⁾.

وهنا يثار سؤال ما موقف السلطة الأيوبية في مصر والشام من تطورات الأحداث في اليمن، لا سيما أن الأخبار كانت تصل عن طريق مخاطبات بعض أمرائهم في اليمن ومنهم صاحب صنعاء إذ أرسل كتاباً إلى الملك العادل الأيوبي صاحب مصر والشام يذكر فيه تفاصيل أحداث اليمن، لكن مع ذلك أن موقف السلطة الأيوبية في مصر والشام وُصف بأنه مهادن مع الأمراء الموجودين هناك⁽⁵⁴⁾، وذلك بحكم الظروف الحرجة التي تمر بها السلطة الأيوبية في صنعاء.

تحمل سيف الدين سنقر المسؤولية الجسيمة بعد أن عين اتابكاً للناصر أيوب، فوصف بأنه حسن التدبير وبعد النظر في شؤون السياسة، فقد بدأ بغير الولاة الذين لا يثق بهم⁽⁵⁵⁾، ومن ثم استعاد السيطرة التامة على البلاد، وفي الوقت ذاته عاد الأمير وردسار إلى صفوف المعسكر الأيوبي وتخلّى عن مناصرة الإمام عبد الله بن حمزة، عاداً ذلك تصحيحاً للخطأ الذي ارتكبه بالانضمام إليه⁽⁵⁶⁾، ورحب سنقر بعودته وأسندته بالمال والجند وكلفه بمهمة استعادة صنعاء إلى حظيرة الحكم الأيوبي وبذلك بدأت مرحلة جديدة من العداء بين وردسار والإمام عبد الله بن حمزة، ودارت بينهما سلسلة من المعارك، انتصر فيها الإمام تارة وأظهر وردسار تفوقه تارة أخرى⁽⁵⁷⁾.

أدى وردسار دوراً كبيراً في استعادة النفوذ الأيوبي في بلاد اليمن فقد استرد صنعاء ثم صالح بني حاتم، وبذلك أمن أحد أهم الجهات المعادية للأيوبيين، وكذلك الحال مع بقية الزعامات العشائرية الأخرى التي دخلت بالسلام معه⁽⁵⁸⁾.

سجّلت عساكر الأيوبيين انتصارات عدة على مدى خمس سنوات من حكم الأمير سنقر، شملت تحرير الكثير من الأراضي الواقعة ما بين زبيد وصنعاء وكان آخر موقعة لبراقش، ثم تم توقيع الصلح بين الأمير سنقر والإمام المنصور عبد الله بن حمزة عام 608هـ / 1211م ولدة سنتين، وبهذا الصلح انتهى الخلاف مع أقوى شخصية معارضة في اليمن للحكم الأيوبي⁽⁵⁹⁾.

دخل الأمير وردسار في مواجهات جديدة مع جيش الإمام عبد الله بن حمزة، واستطاع أن ينقذ الحكم الأيوبي من التداخي في اليمن، إلا أن وفاته عام 609هـ / 1212م حالت دون استمراره في مواجهة حركات المعارضة للحكم الأيوبي، ثم أعقبته وفاة الملك الناصر أيوب في أوائل عام 611هـ / 1214م، وآلت أمور الدولة إلى وزيره بدر الدين الغازي⁽⁶⁰⁾.

عُرف عن الغازي بأنه سيء السيرة، استخدم السم في التخلص من معارضيه من حكام الأيوبيين في اليمن، وهذا الأمر أضعف كثيراً من سيطرة الأيوبيين، وفي الوقت ذاته عزز مركز الإمام المنصور عبد الله بن حمزة⁽⁶¹⁾، ولم يكتف بذلك فقد عمل على الاستقلال بحكم اليمن، وهذا الأمر ودد حالة من الاستياء من تصرفاته وجاءت بنتائج معكوسة لاتباعه، استغلها الإمام المنصور، وقدم لهم الإغراءات والأموال والمناصب وانضموا إلى جانبه في الوقت الذي كان هؤلاء مطلعين على مكان القوة ومواقع الضعف في صفوف الجيش الأيوبي، واطل عليها الإمام المنصور الأمر الذي سهّل له فرض سيطرته على المناطق الشمالية من اليمن⁽⁶²⁾.

أعلن الأمير غازي بن جبريل نفسه سلطاناً ولقب بالملك الظافر وسك النقود باسمه وخطب له على المنابر في صنعاء وفي طريق عودته إلى تعز هاجمته القبائل القاطنة فيها وبمساندة قبائل مدينة أب، فثار عليه قاداته وقتل عام 621هـ / 1215م⁽⁶³⁾، وبذلك أصبحت اليمن خالية من سلطان أيوبي قوي قادر على إدارة شؤون الدولة في ذلك الوقت العصيب، وهنا تولت أم الناصر الإدارة وأصبح الأمير المجاهد اتابكاً لها، ولا شك أن هذا التصدع في السلطة الأيوبية أتاح الفرصة لأعدائهم للتحرك من أجل الحصول على مكاسب جديدة ومنهم بنو حاتم في همدان واستيلاء الإمام المنصور عبد الله بن حمزة على صنعاء وذمار وغيرها من المدن الأخرى⁽⁶⁴⁾.

في ظل هذه الظروف المعقدة التي واجهت أم الناصر كانت تبحث عن رجل من بني أيوب قادر على إدارة الدولة، فأرسلت رسلها إلى مكة بهدف معرفة الأخبار في مصر والشام، والتقى رسلها بالملك سليمان بن سعد الدين شاهنشاه الذي قدم إلى مكة لأداء فريضة الحج، وعرضوا عليه الذهاب إلى اليمن لمقابلة الملكة فوافق على ذلك فقابلته وخلعت عليه الزواج وملكته أمر إدارة اليمن وذلك في ربيع عام 611هـ / 1214م⁽⁶⁵⁾.

خيّب سليمان بن سعد الدين شاهنشاه ظن الملكة أم الناصر، وكان ضعيف الشخصية قليل الخبرة والتجربة بأمور السياسة والحكم، وكان محباً للانغماس في حياة اللهو والملاذات⁽⁶⁶⁾، كما أساء في الوقت ذاته معاملة زوجته وهجرها، كما أساء معاملة جنده وعاملهم بالعنف والقسوة، وفي المقدمة